

الرسالة

قال " الشافعي : " : إنَّ الخلقَ لِمَا سَدَقَ في علمه مما أراد بخلقهم وبهم لا مُعَقِّبَ لحُكْمِهِ وهو سريع الحِساب .

وأنزل عليهم الكتابَ تَبَيَانًا لكل شيءٍ وهُدًى ورحمةً وفرض فيه فرائض أثبتها وأُخْرَى نَسَخَهَا رحمةً لِخَلْقِهِ بالتخفيف عنهم وبالتوسعة عليهم زيادة فيما ابتدأهم به من نِعَمِهِ . وأثابهم على الانتهاء إلى ما أثبت عليهم : جَنَدَتَهُ والنجاة من عذابه فَعَمَّتَهُم رحمتُهُ فيما أثبت ونسخ فله الحمد على نعمه .

وأبان أنَّ لهم أنه إنما نسخ ما نسخ من الكتاب بالكتاب وأن السنة لا ناسخة للكتاب وإنما هي تبديع للكتاب يُمَثَّلُ ما نَزَلَ نَصًّا ومفسِّرةٌ معنى ما أنزل الله منه جُمَلًا . قال الله : " وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بِآيَاتِنَا إِذْ يَنْبَغُ لَهَا أَنْ تُدْرَأَ وَبَدَّلَ اللَّهُ مَا يَكُونُ لِي أَنْ [ص 107] أُبَدَّلَ لَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ . إِنْ زَيْتِي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15) " [يونس] .

فأخبر الله أنه فرضَ على نبيه اتباعَ ما يوحى إليه ولم يجعل له تبديله من تلقاء نفسه .

وفي قوله : " مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدَّلَ لَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي (15) " [يونس] بيانٌ ما وصفتُ من أنه لا يَنسخُ كتابَ الله إلا كتابُهُ كما كان المُبْدِئُ تَدْرَعُ لفرضه فهو المُزِيلُ المُنْتَبِهُ لِمَا شاء منه جل ثناؤه ولا يكون ذلك لأحد من خلقه . وكذلك قال : " يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (39) " [الرعد] .

وقد قال بعضُ أهل العلم : في هذه الآية - والله أعلم - دلالة على أن الله جعل لرسوله أن يقولَ من تلقاء نفسه بتوقيفه فيما لم يُنزلْ فيه كتابًا والله أعلم . وقيل في قوله : " يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ . . . (39) " [الرعد] : يمحو فَرَضَ ما يشاء ويثبت فرض ما يشاء وهذا يُشبه ما قيل والله أعلم .

[ص 108] وفي كتاب الله دلالة عليه قال الله : " مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهُهَا أَوْ مِثْلَهَا . أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَالِمُ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (106) " [البقرة] .

فأخبرنا أن نسج القرآن وتأخير إنزاله لا يكون إلا بقدرآن مثله .
وقال : " وَإِذَا بَدَأْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ
: قَالُوا : إِنْزَمَّا أَزْتَمُفْتَرِ (101) " [النحل] .

وهكذا سنة رسولنا لا يندسخها إلا سنة لرسولنا ولو أحدثنا لرسوله في أمر سن
فيه غير ما سن رسولنا : لسننا فيما أحدثنا إليه حتى يبيدنا للناس أن له سنة
ناسخة لسننا قديلاها مما يخالفها . وهذا مذكور في سنته - A